تطريز

الكلام على سورة الإخلاص

المعروف بـ: «تفسير سورة الإخلاص»

تصنيف الحافظ
عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الدمشقي الحنبلي
المتوفى سنة (٧٩٥) رحمه الله تعالى

منقول من التسجيل الصوتي للشيخ الدكتور
صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

النسخة الأولى

محفوظة كلّ الحقوق

لا يسمح بطبع التّفريغ لأغراض التّجارية
أو ترجمته أو اختصاره دون موافقة خطّية

للإعلام بخطأٍ طباعيٍّ أو الاستدراك أو إبداء رأيٍ؛

يُرجى المراسلة على البريد الآتي : Abdellahdj24@gmail.com

سلسلة شروح وتطريزات فضيلة الشيخ (٢٠٦)

تطريز

الكلام على سورة الإخلاص

المعروف بـ: «تفسير سورة الإخلاص»

تصنيف الحافظ

عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الدمشقي الحنبلي

المتوفى سنة (٧٩٥) رحمه الله تعالى

منقول من التسجيل الصوتي للشيخ الدكتور

صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

النسخة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّنا، وأشــهد ألَّا إله إلا الله وحده لا شــريك له، وأشــهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله.

أمَّا بَعْدُ:

فهذا هو (**الدَّرس الثَّامن**) من (**برنامج الدَّرس الواحد الثَّالث**)، والكتاب المقروء فيه هو «**الكلام على سورة الإخلاص**»، للعلَّامة أبي الفَرَج ابن رجبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقبل الشُّروع في إقرائه لا بدَّ من ذكر مقدِّمتين اثنتين:

المُقَدِّمَةُ الأُولَى: التَّعْرِيفُ بالمُصَنِّفِ

وتنتظم في ثلاثة مقاصدَ:

● المقصد الأوَّل: جرُّ نسبه:

هو الحافظ الكبير، والمحقِّق النِّحرير، عبد الرَّحمن بن أحمدَ بن رجبٍ السُّلميُّ الدِّمشقيُّ ثمَّ البغداديُّ، يُكنى بـ(أبي الفَرَج)، ويُعرَف بـ(زين الدِّين)، وبـ(ابن رجبٍ)، وبه اشتهر.

● المقصد الثَّاني: تاريخ مولده:

وُلد صبيحة الخامس عشر من شهر ربيعٍ الأوَّل، سنة ستٍّ وثلاثين وسبعمائةٍ (٧٣٦).

● المقصد الثَّالث: تاريخ وفاته:

تُوفِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة خمسٍ وتسعين وسبعمائةٍ (٧٩٥)، وله من العمر تسعٌ وخمسون سنةً، رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمةً واسعةً.

المُقَدِّمَةُ الثَّانِيَةُ: التَّعْرِيفُ بالمُصَنَّفِ

وتنتظم في ثلاثة مقاصدَ أيضًا:

- **المقصد الأوَّل: تحقيق عنوانه:**

عُرِف هذا الكتاب باسمين اثنين:

- أحدهما: «الكلام على سورة الإخلاص».

- والآخر: «تفسير سورة الإخلاص».

وأصحُّهما الأوَّل، فهو الَّذي يُستفاد من النُّسخ الخطِّيَّة العتيقة، ويشهد له ما صدَّر به المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ كتابه، حيث قال: «الكلام على سورة الإخلاص».

- **المقصد الثَّاني: بيان موضوعه:**

اشتمل هذا الكتاب الفذُّ على تفسير سورة الإخلاص؛ وهي السُّورة المبدوءة بقوله تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾.

- **المقصد الثَّالث: توضيحُ منهجه:**

لم يجعل المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لكتابه أبوابًا ولا فصولًا، غير أنَّه قسَّمه بتصرُّفه إلى مباحثَ، فبعد أن بيَّن الخلاف في موضع نزول السُّورة، ذكر أنَّه يتكلَّم على السُّورة في فصولٍ تتعلَّق بفضائلها، وسبب نزولها، وتفسيرها.

وحوى كتابه هذا علومًا متعدِّدةً في فنون التَّفسير والحديث واللُّغة والاعتقاد.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالَمين، وصلَّى الله على محمَّدٍ وآله وصحبه وسلَّم.

قال ابن رجبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ [1]:

ٱلْكَلَامُ عَلَى سُورَةِ ٱلْإِخْلَاصِ

وفي موضع نزولها قولان:

أحدهما: أنَّها مكِّيَّةٌ.

والثَّاني: مدنيَّةٌ.

---

(١) يجوز أن يقول المصنِّف أوَّلًا: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، ثمَّ يقول: قال ابن رجبٍ - يعني نفسَه -، ويقع مثل هذا كثيرًا في «المحلَّى»، فتجد ابن حزمٍ يقول: قال أبو محمَّدٍ - يعني نفسَه -، ومرَّ معنا مثله في درس «تعظيم الفُتيا» لابن الجوزيِّ، حيث قال داخله: قال الشَّيخ أبو الفرج - يعني نفسَه.

لكن ينبغي أن يُتنبَّه إلى أنَّ بعض النَّاس يُخطئ في ترتيب هذا الأمر؛ كالَّذين يعزون إلى «مسند أحمدَ»، فيقولون: (هذا الحديث أخرجه الإمام أحمدُ، قال: حدَّثنا عبد الله، حدَّثني أبي، حدَّثنا يزيدُ...) ثمَّ يسوقون الإسناد، فإنَّ عبد الله هو ابن الإمام أحمدَ، ولم يقل الإمام أحمدُ: حدَّثني عبد الله، حدَّثني أبي - يعني نفسَه -! وإنَّما إذا عزى للإمام أحمدَ يقول: قال الإمام أحمدُ، ثمَّ يبدأ الإسناد من الرَّاوي الَّذي بعد (حدَّثني أبي).

وذلك في فصولٍ في فضائلها، وسبب نزولها، وتفسيرها.

قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أوَّل مسائل هذا الكتاب متعلِّقةً بموضع نزول هذه السُّورة، وقد اختلف في ذلك الصَّحابة فمَن بعدهم على قولين اثنين:

- فمن قائلٍ يقول: إنَّها مكِّيَّةٌ.
- ومن قائلٍ يقول: إنَّها مدنيَّةٌ.

وليس في الآثار ما يشهد لتقديم أحد القولين على الآخر.

وقد اختلفت أقوال أهل العلم في بيان المراد بـ(المكِّيِّ والمدنيِّ)، والَّذي عليه المحقِّقون أنَّ **المكِّيَّ**: ما نزل قبل الهجرة، ولو كان نزوله في غير مكَّةَ، **والمدنيَّ**: ما نزل بعد الهجرة، ولو كان نزوله خارج المدينة، وهذا أصحُّ الأقوال، وهو اختيار المصنِّف في كتابه «الكلام على سورة النَّصر».

ثمَّ ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّه يُرتِّب كتابه في مباحث تتعلَّق بفضائل سورة الإخلاص، وسبب نزولها، وتفسير آياتها.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

أمَّا فضائلها فكثيرةٌ جدًّا:

منها: أنَّها نسبة الله عَزَّوَجَلَّ.

خرَّج الطَّبرانيُّ من طريق عثمانَ بن عبد الرَّحمن الطَّرائفيِّ، عن الوازع بن نافعٍ، عن أبي سلمةَ، عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لِكُلِّ شَيْءٍ نِسْبَةٌ، وَنِسْبَةُ اللهِ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾، لَيْسَ بِأَجْوَفَ**».

الوازع ضعيفٌ جدًّا، وعثمانُ يروي المناكير، وسيأتي في سبب نزولها ما يشهد له.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

أوَّل هذه الفضائل أنَّ هذه السُّورة (نِسبة الله عَزَّوَجَلَّ)، وقد ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في ذلك هذا الحديث، وهو حديثٌ ضعيفٌ جدًّا، إلَّا أنَّ الأحاديث المرويَّة في سبب نزول هذه السُّورة تدلُّ على هذا المعنى، فهذه السُّورة في القرآن الكريم هي نسبة الله عَزَّوَجَلَّ، فإنَّ ربَّنا - كما أخبر عن نفسه - أحدٌ واحدٌ صمدٌ.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

ومنها: أنَّها صفة الرَّحمن، وفي «صحيح البخاريِّ ومسلمٍ» من حديث عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث رجلًا على سَريَّةٍ، فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، فلمَّا رجعوا ذكروا ذلك للنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**سَلُوهُ؛ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟**»، فسألوه، فقال: لأنَّها صفة الرَّحمن، وأنا أحبُّ أن أقرأ بها، فقال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ**».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فضيلةً ثانيةً من فضائل سورة الإخلاص، وهي (أنَّها صفة الرَّحمن)، كما جاء مصرَّحًا بذلك في هذا الحديث.

ومن فوائد هذا الحديث العظيم: إثبات اسم (الصِّفة) لله عَزَّوَجَلَّ؛ فإنَّ من أهل العلم من امتنع عن تسميتها (صفاتٍ)، وسمَّاها (إضافاتٍ)، وهذا هو الحديث الصَّحيح الوحيد الَّذي فيه نسبة (الصِّفة) إلى الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تصريحًا، فكما أنَّ لله أسماءً صُرِّح بها في القرآن الكريم في قوله تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۝١٨٠﴾ [الأعراف]، فكذلك لله عَزَّوَجَلَّ صفاتٌ - كما صُرِّح بها في هذا الحديث.

وقد تكلَّم أبو محمَّد ابن حزمٍ في هذا الحديث وزعم أنَّه ضعيفٌ، والحقُّ أنَّه حديثٌ صحيحٌ، ولهذا اعتمده الشَّيخان، وما تكلَّم به ابن حزمٍ في بعض رواة الحديث فمردودٌ عليه، وقد تلقَّت الأمَّة البخاريَّ ومسلمًا بالقبول، إلَّا الأحرف الَّتي انتقدها كبار الحفَّاظ؛ كالدَّارقطنيِّ، وأبي عليٍّ الغسَّانيِّ، وأبي مسعودٍ الدِّمشقيِّ، وليس هذا الحديث منها.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

ومنها: أنَّ حبَّها يُوجِب محبَّة الله، لهذا الحديث المذكور آنفًا، ومنه قول ابن مسعودٍ: «من كان يحبُّ القرآن فهو يحبُّ الله».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ فضيلةً ثالثةً من فضائل هذه السُّورة، وهو أنَّ حبَّ سورة الإخلاص (يُوجِب محبَّة الله عَزَّوَجَلَّ)؛ فمن أحبَّ هذه السُّـــورة، وأدمن قراءتها، وكان ذا لهَجٍ بها؛ فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحبُّه.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

ومنها: أنَّ حبَّها يُوجِب دخول الجنَّة؛ ذكره البخاريُّ في «صحيحه» تعليقًا، وقال عُبيد الله: عن ثابت عن أنسٍ قال: كان رجلٌ من الأنصار يَؤمُّهم في مسجد قُباء، وكان كلَّما افتتح سورةً يقرأ بها لهم في الصَّلاة ممَّا يقرأ به افتتح بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ حتَّى يفرغ منها، ثمَّ يقرأ سورةً أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كلِّ ركعةٍ، وذكر الحديث وفيه: فقال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا فُلَانُ؛ مَا حَمَلَكَ عَلَى لُزُومِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ؟**»، فقال: إنِّي أحبُّها، فقال: «**حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ**».

وخرَّجه التِّرمذيُّ في «جامعه» عن البخاريِّ، عن إسماعيلَ بن أبي أُويسٍ، عن الدَّراورديِّ، عن عبيد الله بن عبد الرَّحمن، عن عبيد الله بن عمرَ، وغرَّبه [1]، وقال: روى مبارك بن فَضالةَ عن ثابت عن أنسٍ أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله إنِّي أحبُّ هذه السُّورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، فقال: «**إِنَّ حُبَّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ**».

وقد خرَّجه أحمدُ في «المسند» عن أبي النَّضر، عن مُبارك بن فَضالةَ به.

وروى مالكٌ عن عبيد الله بن عبد الرَّحمن، عن عُبيد بن حُنَينٍ قال: سمعتُ أبا

---

(١) يعني حَكم عليه بأنَّه غريبٌ.

وهكذا وقع في الأصول الصَّحيحة، ونقلها الحفَّاظ؛ كصاحب «تحفة الأشراف»، وكالحافظ في «تغليق التَّعليق»، وأمَّا النُّسخ المطبوعة من كتاب التِّرمذيِّ ففيها: (حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ)، وهذا خطأٌ محضٌ.

ونُسخ التِّرمذيِّ المطبوعة لا يُوثق بها، وإنَّما يُوثق بكتاب «تحفة الإشراف»، فإذا أردتَ أن تعرف حكم التِّرمذيِّ على حديثٍ فانظر ما نقله الحافظ المِزِّيُّ في كتابه «تحفة الأشراف».

هريرةَ يقول: أقبلتُ مع النَّبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فسمع رجلًا يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، فقال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وَجَبَتْ**»، قلتُ: وما وجبت؟ قال: «**الجَنَّةُ**».

وأخرجه النَّسائيُّ، والتِّرمذيُّ وقال: «حسنٌ صحيحٌ، لا نعرفه إلَّا من حديث مالكٍ».

وروى أبو نُعيمٍ من طريق عمرو بن مرزوقٍ، عن شعبةَ، عن مهاجرٍ: سمعتُ رجلًا يقول: صحبتُ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في سفرٍ، فسمع رجلًا يقرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون]، فقال: «**قَدْ بَرِئَ مِنَ الشِّرْكِ**»، وسمع آخرَ يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، فقال: «**غُفِرَ لَهُ**».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ فضيلةً رابعةً من فضائل هذه السُّورة؛ وهو (أنَّ حبَّها يُوجِب) مغفرة الذُّنوب و(دخول الجنَّة).

والأحاديث الَّتي أوردها المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ دالَّةً على هذه الفضيلة لا يَثبت منها إلَّا حديثُ أبي هريرةَ: («أقبلتُ مع النَّبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فسمع رجلًا يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، فقال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وَجَبَتْ**»، قلتُ: وما وجبت؟ قال: «**الجَنَّةُ**»)، فإنَّ هذا الحديث قد أخرجه التِّرمذيُّ في «جامعه» والنَّسائيُّ في «سننه» بسندٍ صحيحٍ، وما عداه من الأحاديث السَّابقة له والتَّابعة فكلُّها أحاديثُ ضعيفةٌ لا تثبت.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

ومنها: أنَّها تَعدِل ثُلث القرآن؛ ففي «صحيح البخاريِّ» من حديث أبي سعيدٍ أنَّ رجلًا سمع رجلًا يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ يُردِّدها، فلمَّا أصبح جاء إلى النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكر ذلك له - وكأنَّ الرَّجل يَتقالُّها -، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ**»، وقد رُوي عن أبي سعيدٍ عن أخي قتادةَ بن النُّعمان به.

وفي «صحيح البخاريِّ» أيضًا من طريق الأعمش، عن إبراهيمَ النَّخعيِّ والضَّحَّاك المَشرقيِّ، عن أبي سعيدٍ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ القُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟**»، فشَقَّ ذلك عليهم وقالوا: أيُّنا يُطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: «**(اللهُ الوَاحِدُ الصَّمَدُ) ثُلُثُ القُرْآنِ**».

وفي «المسنَد» من طريق ابن لهيعةَ، عن الحارث بن يزيدَ، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيدٍ قال: بات قتادة بن النُّعمان يقرأ اللَّيل كلَّه بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، فذُكِر ذلك للنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَتَعْدِلُ نِصْفَ القُرْآنِ أَوْ ثُلُثَهُ**».

وفي «المسند» - أيضًا - من طريق ابن لهيعةَ، حدَّثنا حُيَيُّ بن عبد الله، عن أبي عبد الرَّحمن عن عبد الله بن عمرٍو؛ أنَّ أبا أيُّوبَ الأنصاريَّ كان في مجلسٍ وهو يقول: ألَا يستطيع أحدكم أن يقوم بثلث القرآن كلَّ ليلةٍ؟ فقالوا: وهل يستطيع ذلك أحدٌ؟ قال: فإنَّ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ ثلثُ القرآن، قال: فجاء النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يسمع أبا أيُّوبَ فقال: «**صَدَقَ أَبُو أَيُّوبَ**».

وروى يحيى بن سعيدٍ، عن يزيدَ بن كيسانَ، عن أبي حازمٍ - قال التِّرمذيُّ: اسمه

سلمانُ - عن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**احْشُدُوا؛ فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ القُرْآنِ**»، فحَشد مَن حَشد، ثمَّ خرج نبيُّ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، ثمَّ دخل، فقال بعضنا لبعضٍ: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ القُرْآنِ**»، إنِّي لَأُرى هذا خبرًا [١] جاءه من السَّماء، ثمَّ خرج نبيُّ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**إِنِّي قُلْتُ: سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ القُرْآنِ، أَلَا وَإِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ**».

أخرجه مسلمٌ.

وروى الإمام أحمدُ، عن عبد الرَّحمن بن مهديٍّ، عن زائدةَ بن قُدامةَ، عن منصورٍ، عن هلال بن يِسافٍ، عن الرَّبيع بن خُثيمٍ، عن عمرو بن ميمونٍ، عن عبد الرَّحمن بن أبي ليلى، عن امرأةٍ من الأنصار، عن أبي أيُّوبَ، عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ القُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟ فَإِنَّهُ مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ فِي لَيْلَةٍ فَقَدْ قَرَأَ لَيْلَتَئِذٍ ثُلُثَ القُرْآنِ**».

ورواه النَّسائيُّ والتِّرمذيُّ عن بُندارٍ، وروى التِّرمذيُّ عن قتيبةَ أيضًا عن ابن مهديٍّ، فهو لهما عُشاريٌّ، ولأحمد تُساعيٌّ [٢]، وفي رواية التِّرمذيِّ عن امرأةِ أبي أيُّوبَ عن أبي أيُّوبَ به، وذكر اختلافًا في إسناده.

---

(١) وقع في نسخة الشَّيخ: «خيرًا»، وفي نسخةٍ لبعض الطُّلَّاب: «خبرًا»؛ فقال الشَّيخ: على العموم لا يُوثَق لا بهذه النُّسخة ولا بهذه النُّسخة؛ بل ينبغي أن تُراجع النُّسخ الصَّحيحة لمسلمٍ، ولاسيَّما منصوصات القاضي عِياضٍ في «شرحه»، فإنَّه يَنصُّ على اختلاف الرِّوايات والألفاظ في «صحيح مسلمٍ»، فربَّما كان في نُسخةٍ من «صحيح مسلمٍ»: «خيرًا»، وفي نُسخةٍ أخرى: «خبرًا».

(٢) عُشاريٌّ: يعني فيه عشرة رواةٍ، وتُساعيٌّ: فيه تسعة رواةٍ.

وروى أحمدُ عن هُشيمٍ، عن حُصينٍ، عن هلال بن يِسافٍ، عن عبد الرَّحمن بن أبي ليلى، عن أُبيِّ بن كعبٍ، أو رجلٍ من الأنصار، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ بِثُلُثِ القُرْآنِ**».

ورواه النَّسائيُّ في «اليوم واللَّيلة» من طريق هُشيمٍ، عن حُصين عن أبي ليلى به من غير ذِكر هلال بن يِسافٍ.

وروى الإمام أحمدُ - أيضًا - عن وكيع بن سفيانَ، عن أبي قيسٍ، عن عمرو بن ميمونٍ، عن أبي مسعودٍ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ **تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ**». ورواه ابن ماجهْ، والنَّسائيُّ في «اليوم واللَّيلة» من طُرقٍ، وفي بعض طرقه وَقَفه.

ورواه أبو نُعيمٍ من طريق مِسعرٍ، عن أبي قيسٍ، عن عمرو بن ميمونٍ، عن أبي مسعودٍ الأنصاريِّ، كذا قال!

ومن طريق شُعبةَ، عن أبي إسحاقَ، عن عمرو بن ميمونٍ، عن ابن مسعودٍ.

وروى أبو نعيمٍ من طريق عليِّ بن عاصمٍ، عن حُصينٍ، عن هلال بن يِسافٍ، عن ربيع بن خُثيمٍ، عن ابن أبي ليلى، عن كعب بن عُجْرةَ، عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ كَانَتْ تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ**».

ورواه شُعبةُ عن عليِّ بن مُدرِكٍ، عن إبراهيمَ النَّخعيِّ، عن الرَّبيع بن خُثَيمٍ، عن ابن مسعودٍ، عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وروى أبو نُعيمٍ، قال: حدَّثنا إبراهيمُ بن محمَّد بن يحيى، ثنا أحمدُ بن حمدونَ بن رُسْتُمَ، ثنا عليُّ بن إشْكابَ، ثنا شُجاع بن الوليد، ثنا زيادُ بن خيثمةَ، عن محمَّد بن

جُحادةَ، عن الحسن عن أبي هريرةَ، عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ **ثُلُثُ القُرْآنِ**»، قال إبراهيمُ: هكذا حدَّثني به وكتبه لي بخطِّه، وإنَّما يُحفَظ الإسناد: «**قِرَاءَةُ يس**» [1].

وروى يوسفُ بن عطيَّةَ الصَّفَّار، ثنا هارونُ بن كثيرٍ، عن زيدِ بن أسلمَ، عن أبيه، عن أبي أُمامةَ، عن أُبيِّ بن كعبٍ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ ثُلُثَ القُرْآنِ، وَكُتِبَ لَهُ مِنَ الحَسَنَاتِ بِعَدَدِ مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ وَآمَنَ بِهِ**».

وفي «صحيح مسلمٍ» من طريق قتادةَ، عن سالم ابن أبي الجَعد، عن مَعدانَ بن أبي طلحةَ، عن أبي الدَّرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ أنَّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ كُلَّ يَوْمٍ ثُلُثَ القُرْآنِ؟**»، قالوا: نعم، قال: «**إِنَّ اللهَ جَزَّأَ القُرْآنَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ، فَـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ ثُلُثُ القُرْآنِ**».

وروى أميَّةُ بن خالدٍ، عن ابن أخي ابن شهابٍ، عن عمِّه، عن حُميد بن عبد الرَّحمن ابن عوفٍ، عن أمِّه أمِّ كُلثومٍ بنت عُقبةَ بن أبي مُعَيْطٍ قالت: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ **ثُلُثُ القُرْآنِ**». رواه أحمدُ، والنَّسائيُّ في «اليوم واللَّيلة».

ورواه أيضًا من طريق مالكٍ، عن الزُّهريِّ، عن حُميدٍ من قوله.

ورواه أيضًا من طريقِ ابن إسحاقَ، عن الحارث بن فُضيلٍ، عن الزُّهريِّ، عن حُميدٍ؛ أنَّ نفرًا من أصحاب محمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حدَّثوه عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال:

---

(١) لعلَّها: (وإنَّما يُحفَظ بهذا الإسناد: «**قِرَاءَةُ يس**») يعني حديثٌ واردٌ في قراءة يس.

«﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ لِمَنْ صَلَّى بِهَا».

وروى الحافظ أبو يعلى، عن قَطَنِ بن نُسَيرٍ، عن عُبَيسِ بن ميمونٍ، عن يزيدَ الرَّقَاشيِّ، عن أنسٍ، عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَمَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي لَيْلَةٍ؟ فَإِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ»، إسناده ضعيفٌ.

ويُستدَلُّ به على أنَّ المراد بكونِها تَعدِل ثلث القرآنِ: أجرَه وثوابَه، كما يُستدَلُّ بحديث أبي الدَّرداء المتقدِّم على أنَّها جُزء التَّوحيد من القرآن، وأنَّه ثلاثة أجزاءٍ: توحيدٌ، وتشريعٌ، وقَصصٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في هذه الجملة فضيلةً خامسةً من فضائل سورة الإخلاص؛ وهي (أنَّها تَعدِل ثُلث القرآن)، وقد ثَبتت بذلك الأحاديث عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتَكاثرت.

وما جاء في بعض الرِّوايات من الزِّيادة على هذا مثلما جاء في حديث أنَّها («تَعْدِلُ نِصْفَ القُرْآنِ أَوْ ثُلُثَهُ»)، أو ما جاء في الحديث الآخر أنَّ مَن قرأها («كُتِبَ لَهُ مِنَ الحَسَنَاتِ بِعَدَدِ مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ وَآمَنَ بِهِ») = فلا تصحُّ، وإنَّما يَثبت في هذه الفضيلة أنَّها تَعدِل ثُلث القرآن.

وقد اختلف أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في معنى عَدْلِها ثُلثَ القرآن على أقوالٍ عدَّةٍ؛ أصحُّها ما ذكره أبو العبَّاس بن سُرَيجٍ الشَّافعيُّ أنَّ **القرآن مقسَّمٌ إلى ثلاثة أقسامٍ**:

◊ **أوَّلها**: خبرٌ عن الخالق؛ وهو التَّوحيد.

◊ **وثانيها**: خبرٌ عن المخلوق؛ وهو القَصص.

◊ **وثالثها**: خبرٌ عمَّا يجب على المخلوق للخالق؛ وهو التَّشريع بالأمر والنَّهي.

وقد اختار هذا القولَ جماعةٌ من المحقِّقين؛ منهم شيخ الإسلام ابن تيميَّةَ، وتلميذه ابن القيِّم، وحفيده في التَّلمذة ابن رجبٍ في هذا الموضع، في آخرين من أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

وإذا كان القرآن مقسَّمًا إلى هذه الأقسام الثَّلاثة: التَّوحيدِ، والقصص، والتَّشريع؛ فإنَّ سورة الإخلاص قد جاءت متضمِّنةً لتوحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ففيها - مع وَجازة ألفاظها وقِصرها - جميع أنواع التَّوحيد، فكانت بهذا تَعدِل ثلث القرآن.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

ومنها: أنَّ قراءتها تكفي من الشَّرِّ وتمنعه، وقد ثبت في «صحيح البخاريِّ» عن عائشةَ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا أوى إلى فراشه قرأها مع المعوِّذتين، ومسح ما استطاع من جسده.

وروى أبو داودَ والتِّرمذيُّ والنَّسائيُّ من طريق معاذ بن عبد الله بن خُبيبٍ، عن أبيه، عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ **وَالمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وَتُصْبِحُ ثَلَاثًا، تَكْفِيكَ كُلَّ يَوْمٍ**»، وصحَّحه التِّرمذيُّ.

ورواه النَّسائيُّ من طريقٍ أخرى عن معاذٍ، عن عبد الله بن خُبيبٍ، عن أبيه، عن عقبةَ ابن عامرٍ، فذكره ولفظه: «**تَكْفِكَ كُلَّ شَيْءٍ**».

وقال البزَّار في «مسنده»: حدَّثنا إبراهيمُ الجوهريُّ، ثنا غَسَّان بن عُبيدٍ، عن أبي عِمرانَ الجَونيِّ، عن أنسِ بن مالكٍ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا وَضَعْتَ جَنْبَكَ عَلَى الفِرَاشِ، وَقَرَأْتَ فَاتِحَةَ الكِتَابِ، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾؛ فَقَدْ أَمِنْتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا المَوْتَ**».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ هنا فضيلةً سادسةً من فضائل سورة الإخلاص، وهي (أنَّ قراءتها تكفي من الشَّرِّ وتمنعه)، وهذه الكفاية إنَّما تحصُل بما وردت الأخبار الصِّحاح بقراءتها مع المعوِّذتين حال إرادة المنام، وأمَّا قراءتُها حال الإصباح والإمساء، فإنَّ

الأحاديث الواردة في ذلك لا تَصحُّ.

ولا يصحُّ حديثٌ عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قراءة سورة الإخلاص والمعوِّذتين، لا في الإصباح والإمساء، ولا في أدبار الصَّلوات، فإنَّ الأحاديث المرويَّة فيها جميعًا ضعيفةٌ، وإن اغترَّ كثيرون بظواهر إسنادها وتَوهَّموا صحَّتها فإنَّها مُعلَّةٌ.

وقد اضطرب حديث عُقبةَ فيها على أوجهٍ كثيرةٍ، أصحُّها رواية مسلمٍ في «صحيحه»، وليس فيها تقييد قراءة المعوِّذتين لا بالإصباح، ولا بالإمساء، ولا بأدبار الصَّلوات المكتوبات.

وإنَّما تُشرَع قراءة المعوِّذتين مع الإخلاص لإرادة الكِفاية والامتناع عن الشُّرور والصِّيانة منها إذا أَوى الإنسان إلى فراشه؛ كما كان النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفعل فيما روته عائشةُ في «الصَّحيحين»؛ فإنَّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا أوى إلى فراشه كلَّ ليلةٍ جَمع كفَّيه، ثمَّ نفث فيهما بالإخلاص والمعوِّذتين، ثمَّ يمسح بهما ما استطاع من جسده؛ يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبلَ من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرَّاتٍ.

وقد اختلف أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في محلِّ النَّفث المُصاحِب لهذا الفعل على ثلاثة أقوالٍ:

- **أوَّلها**: أنَّ النَّفث يكون قبل القراءة.
- **وثانيها**: أنَّه يكون مع القراءة، فيَنفُث ويقرأ.
- **وثالثها**: أنَّه يكون بعد القراءة، فيقرأ ثمَّ ينفُث.

وسبب اختلافِهم: اختلافُ الرِّوايات الواردة فيها، والأظهر وَٱللَّهُ أَعْلَمُ أنَّ النَّفث يكون بعد القراءة، واختاره جماعةٌ من أهل العلم؛ منهم ابن أبي جَمْرةَ في «بهجة

النُّفوس».

والرِّوايات الأخرى في «الصَّحيح» إنَّما رُويت بالمعنى فيما يَظهر.

فيَجمع العبد كفَّيه، ثمَّ يقرأ فيهما سورة الإخلاص والمعوِّذتين، ثمَّ يَنفُث ثلاثًا بعد قراءة هذه السُّور، ثمَّ يمسح بهما ما أقبل من جسده، ثمَّ يُعيد الكَرَّة مرَّةً ثانيةً، فيَجمع كفَّيه ويقرأ سورة الإخلاص والمعوِّذتين، ثمَّ يَنفُث، ثمَّ يمسح بهما ما أَقبل من جسده ورأسه، ثمَّ يُعيد الكرَّة ثالثةً؛ هذا هو أصحُّ الأقوال فيما يَظهر، وهو المناسب للرُّقية بالقرآن الكريم الَّتي وردت في أحاديَث أُخَرَ تَشهد لهذا المعنى.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

ومنها: أنَّها أفضل سور القرآن؛ فروى الدَّارميُّ في «مسنده» عن أبي المغيرة، عن صفوانَ، عن أَيْفَعَ بن عبدٍ الكَلَاعيِّ، قال: قال رجلٌ: يا رسول الله؛ أيُّ سور القرآن أعظمُ؟ قال: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾».

وفي «المسند» من طريق مُعانِ بن رِفاعةَ [1]، عن عليِّ بن يزيدَ، عن القاسم، عن أبي أُمامةَ، عن عقبة بن عامرٍ، قال: قال لي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا أُعَلِّمُكَ خَيْرَ ثَلَاثِ سُوَرٍ أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَالقُرْآنِ العَظِيمِ؟**»، قلتُ: بلى، قال: فأقرأني: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [النَّاس]، ثمَّ قال لي: «**يَا عُقْبَةُ؛ لَا تَنْسَهُنَّ، وَلَا تَبِتْ لَيْلَةً حَتَّى تَقْرَأَهُنَّ**».

وروى التِّرمذيُّ بعض هذا الحديث وحسَّنه، ورواه أحمدُ أيضًا بطوله من طريق أُسَيدِ بن عبد الرَّحمن الخثعميِّ، عن فَروة بن مجاهدٍ، عن عُقبةَ بن عامرٍ به.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ الفضيلة السَّابعة لسورة الإخلاص، وهي (أنَّها أفضل سُور القرآن)، وذكر في ذلك حديثين ضعيفين لا يَثبُتان؛ بل هما مُنكَران، فإنَّ المحفوظ

---

(١) في المطبوع: (معاذ بن رِفاعةَ)، والتَّصحيح من الشَّيخ، وقال: المعروف بالرِّواية عن عليِّ بن يزيدَ الأَلْهانيِّ إنَّما هو مُعانُ بن رِفاعةَ، ومعاذٌ رجلٌ صدوقٌ، وأمَّا مُعانُ بن رفاعةَ فضعيفٌ، وانظروا إلى مثل هذا التَّصحيف الَّذي قد يُؤدِّي إلى أن يَتوهَّم النَّاظر إلى أنَّ هذا هو الرَّجل الصَّدوق.

من رواية الثِّقات ما جاء في «صحيح البخاريِّ» من حديث أبي سعيدٍ بن المُعَلَّى أنَّ أفضل سورةٍ في القرآن الكريم هي الفاتحة، فهذه الفضيلة مختصَّةٌ بسورة الفاتحة.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

ومنها: أنَّ الدُّعاء بها مستجابٌ؛ ففي «السُّنن الأربعة» عن عبد الله بن بُريدةَ، عن أبيه؛ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع رجلًا يُصلِّي يدعو يقول: اللَّهمَّ إنِّي أسألك بأنِّي أشهد ألَّا إله إلَّا أنتَ، الأحد الصَّمد، الَّذي لم يلد ولم يُولَد، ولم يكن له كُفُوًا أحدٌ، قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَقَدْ سَأَلَهُ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**»، وقال التِّرمذيُّ: «حسنٌ غريبٌ».

وفي «المسند» عن مِحْجَنِ بن الأَدْرَعِ؛ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل المسجد، فإذا هو برجلٍ قد قضى صلاتَه وهو يتشهَّد وهو يقول: اللَّهم إنِّي أسألك بأنَّك الواحد الأحد الصَّمد، الَّذي لم يلد ولم يُولَد، ولم يكن له كُفُوًا أحدٌ، أن تغفر لي ذنوبي، إنَّك أنت الغفور الرَّحيم، فقال نبيُّ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاث مرَّاتٍ: «**قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ**».

وقد ورد في تكرير قراءتِها خمسين مرَّةً، أو أكثرَ من ذلك، وعشرات المرَّات عَقيبَ كلِّ صلاةٍ = أحاديثُ كثيرةٌ فيها ضعفٌ، وكذلك حديث معاويةَ بن معاويةَ اللَّيثيِّ خرَّجه الطَّبراني وأبو يعلى من طرقٍ كلُّها ضعيفةٍ، فلم نذكرها.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ فضيلةً ثامنةً لسورة الإخلاص هي (أنَّ الدُّعاء بها مستجابٌ)، وأورد ما يدلُّ على ذلك من الأحاديث المرويَّة عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأحدهما ثابتٌ وهو حديث بُريدةَ الأوَّل، وأمَّا حديث مِحْجَنِ بن الأَدْرعِ فإنَّه ضعيفٌ لا يَثبُت عن النَّبيِّ

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وسبق أن عرفتَ أنَّ اسم الأعظم غير مختصٍّ باسمٍ بعينه من الأسماء الحسنى؛ بل الاسم الأعظم اسم جنسٍ على جميع الأسماء الحسنى الثَّابتة لله عَزَّوَجَلَّ، بحسب ما يقع في قلب العبد من الاستكانة والعبوديَّة، وبحسب صلاحية ما يدعو به من الأسماء لحاله، واختار هذا جماعةٌ من المحقِّقين؛ منهم ابن سِعديٍّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموع الفوائد»، وابن بازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموع فتاواه».

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وأمَّا سبب نزولها: ففي «المسند» والتِّرمذيِّ عن أبي سعدٍ الصَّاغاني محمَّد بن مُيَسَّرٍ [1]، عن أبي جعفر الرَّازيِّ، عن الرَّبيع بن أنسٍ، عن أبي العاليةَ، عن أُبيِّ بن كعبٍ؛ أنَّ المشركين قالوا للنَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انسُب لنا ربَّك يا محمَّد؛ فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ورواه التِّرمذيُّ من طريق عُبيد الله بن موسى، عن أبي جعفرٍ، عن الرَّبيع، عن أبي العاليةِ مرسلًا، وقال: «هذا أصحُّ من حديث أبي سعدٍ».

ورواه أبو يعلى الموصليُّ، والطَّبرانيُّ، وابن جريرٍ، من طريق شُريح بن يونسَ، عن إسماعيل بن مجالدٍ، عن مجالدٍ، عن الشَّعبيِّ، عن جابرٍ؛ أنَّ أعرابيًّا جاء إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: انسب لنا ربَّك؛ فأُنزِل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى آخرها، ورُوي مرسلًا.

وروى عُبيد بن إسحاقَ العطَّار، عن قيس بن الرَّبيع، عن عاصمٍ، عن أبي وائلٍ، عن ابن مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قالت قريشٌ لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انسب لنا ربَّك؛ فنزلت: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، قال الطَّبرانيُّ: ورواه الفريابيُّ وغيره عن قيسٍ، عن عاصمٍ، عن أبي وائل مرسلًا.

وروى ابن أبي حاتمٍ في «تفسيره»: حدَّثنا أبو زُرعةَ، ثنا العبَّاس بن الوليد، ثنا يزيد ابن زُريعٍ، ثنا عليُّ بن الحسين، ثنا أبو عبد الله الحَرْشيُّ، ثنا أبو خلَفٍ عبد الله بن عيسى، ثنا داود بن أبي هندٍ، عن عكرمةَ، عن ابن عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؛ أنَّ اليهود جاءت إلى النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - منهم حُيَيُّ بن أخطبَ، وكعب بن الأشرف -؛ فقالوا: يا محمَّد؛ صِف

---

(١) على وزن (محمَّدٍ).

لنا الَّذي بعثك، فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ ۝٣﴾ فيخرجَ منه الولد، ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ فيخرجَ من شيءٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في هذه الجملة الأحاديث الواردة في سبب نزول هذه السُّورة.

وقد رُوِيَت مِن وجوهٍ مختلفةٍ، عامَّتها ضعافٌ، وأكثرها مراسيلُ، إلَّا أنَّها مختلفة الوجوه؛ فمنها مراسيلُ من أهل الحجاز، ومنها مراسيل مِن أهل العراق، وإذا اختلفت مخارج المُرسَل قوَّى بعضُه بعضًا، ولا سيَّما مع وجود رواياتٍ مسندةٍ ضعيفةٍ تُشَدُّ بها.

فالوارد في سبب نزول سورة الإخلاص قريبٌ من الثُّبوت، وهو حسنٌ إِنْ شَآءَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وقد حسَّنه جماعةٌ من أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ؛ منهم ابنُ كثيرٍ، فإنَّه لمَّا ساق حديث جابرٍ قال: «إسناده مقارِبٌ»، وصرَّح السُّيوطيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتحسين هذا الحديث.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وأمَّا التَّفسير:

فقوله: ﴿قُلْ﴾: هذه افتتاحٌ للسُّورة بالأمر بالقول، كما في المعوِّذتين وسورة الجنِّ.

وقد سُئل النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن المعوِّذتين فقال: «**قِيلَ لِي فَقُلْتُ**»، وذلك إشارةٌ منه إلى أنَّه مبلِّغٌ محضٌ لِما يُوحى إليه، ليس فيه تصرُّفٌ لِما أوحاه الله إليه بزيادةٍ ولا نقصٍ، وإنَّما هو مبلِّغٌ لكلام ربِّه كما أوحاه إليه، فإذا قال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ كان امتثالًا للقول الَّذي قيل له بلفظه لا بمعناه.

و﴿هُوَ﴾: اسمٌ مضمَرٌ؛ قيل: إنَّه ضمير الشَّأن، وقيل: لا.

و﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: إن قيل: هو ضمير الشَّأن؛ فالجملة مبتدأٌ وخبرٌ، وإن قيل: لا؛ ففيه وجهان:

أحدهما: أنَّ ﴿هُوَ﴾ مبتدأٌ، و﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مبتدأٌ وخبرٌ، وهما خبر للمبتدأ الأوَّل ولا حاجةَ فيه إلى رابطٍ؛ لأنَّ الخبر هو المبتدأ بعينه.

والثَّاني: أنَّ ﴿هُوَ﴾ مبتدأٌ، و﴿ٱللَّهُ﴾ خبره، و﴿أَحَدٌ﴾ بدلٌ منه.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى في هذه الجملة **مسألتين اثنتين**:

إحداهما: بيان أنَّ قول الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ إشارةٌ إلى أنَّ قول النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذي أُمِر به هو التَّبليغ المحض؛

فهو مبلِّغٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكلام ربِّه، بخلاف أمره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سورة الفلق والنَّاس: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾؛ فإنَّ الأمر فيهما أمرٌ للنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يتعوَّذ بهذه الألفاظ؛ فالنَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سورة الإخلاص لم يُؤمَر أنَّ يتعبَّد الله عَزَّوَجَلَّ بقول: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢﴾، بخلاف المعوِّذتين؛ فإنَّه تُعبِّد بالتَّعوُّذ بهما؛ كما ذكر ذلك ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وحصل من كلامه التَّفريق بين الأمر بالقول في سورة الإخلاص، والأمر الآخر في سورة الفلق وسورة النَّاس.

أمَّا المسألة الثَّانية فتكلَّم فيها المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عن إعراب هذه الجملة ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وأشار إلى الخلاف في كون ﴿هُوَ﴾ ضمير شأنٍ أم لا في هذا المحلِّ، **والأظهر** أنَّه ضمير شأنٍ.

وضمير الشَّأن: الضَّمير الغائب الَّذي يتقدَّم الجملة؛ فإنَّ الجملة هنا ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وقد تقدَّمها الضَّمير الدَّالُّ على الغائب ﴿هُوَ﴾؛ فسُمِّي ضمير شأنٍ.

وإنَّما يُسمَّى (ضمير شأنٍ) إذا كان دالًّا على مذكَّرٍ، وأمَّا المؤنَّث فإنَّه يُقال: (ضمير القصَّة).

والتَّعبير بالتَّأنيث والتَّذكير باعتبار المعنى النَّحويِّ اللُّغويِّ، لا بالمعنى الاعتقاديُّ؛ فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا يُوصَف بشيءٍ من ذلك.

ثمَّ بيَّن رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إعراب هذه الجملة على الخلاف فيها.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

و﴿أَحَدٌ﴾: اسمٌ من أسماء الله يُسمَّى الله به، ولا يُسمَّى غيره من الأعيان به؛ فلا يُسمَّى شيءٌ من الأشياء (أحدًا) في الإثبات؛ إلَّا في الأعداد المُطلَقة، وإنَّما يُسمَّى به في النَّفي وما أشبهه من الاستفهام والنَّهي والشَّرط؛ كقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص]، وقوله: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ [مريم:٩٨]، وقوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجنّ:١٨]، وقوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾ [التَّوبة:٦] ونحوه.

و(**الأحد**) هو الواحد في إلهيَّته وربوبيَّته.

وفسَّره أهل الكلام بما لا يتجزَّأ ولا ينقسم؛ فإن أُرِيد بذلك أنَّه ليس مؤلَّفًا مركبًّا من أجزاءٍ متفرِّقةٍ فصحيحٌ، أو أنَّه غير قابلٍ للقِسمة فصحيحٌ، وإن أُرِيد أنَّه لا يتميَّز منه شيءٌ عن شيءٍ - وهو المراد بالمجسَّم عندهم - فباطلٌ.

قال ابن عقيلٍ: «الَّذي يصحُّ من قولنا مع إثبات الصِّفات أنَّه واحد في إلهيَّته لا غير».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

بيَّن المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في الجملة المتقدِّمة على آخر قوله الذي قرأه القارئ: اختصاص اسم (الأحد) في حال الإثبات بالله عَزَّوَجَلَّ.

وأمَّا (الواحد) فإنَّ غير الله عَزَّوَجَلَّ قد يُسمَّى ويُوصَف به في حال الإثبات.

ثمَّ بيَّن معنى (الأحد)، ونقل ما نقله عن أهل الكلام من التَّعبير الممقوت، الَّذي غيرُه أولى منه، وقد شرح معنى كلامهم على وجهٍ صحيحٍ يُقبَل، وعلى وجهٍ فاسدٍ لا

يُقبَل.

والجامع في تفسير (الأحد): أنَّه الواحد في أسمائه وصفاته وإلهيَّته.

ومن هنا صارت هذه السُّورة دالَّةً على التَّوحيد كلِّه؛ فقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ يعني واحدًا في أسمائه، واحدًا في صفاته، واحدًا في ألوهيَّته، واحدًا في ربوبيَّته.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

و(الأحد) هو (الواحد)، قال ابن الجوزيِّ: «قاله ابن عبَّاسٍ وأبو عُبيدةَ، وفرَّق قومٌ بينهما».

قال الخطَّابيُّ: «الفرق بين (الأحد) و(الواحد) أنَّ (الواحد) هو المنفرد بذاته؛ فلا يضاهيه أحدٌ، و(الأحد) المنفرد بصفاته ونعوته؛ فلا يشاركه فيها أحدٌ».

وقيل: بينهما فرقٌ آخر؛ وهو أنَّ (الأحد) في النَّفي نصٌّ في العموم؛ بخلاف (الواحد) فإنَّه محتمِلٌ للعموم وغيره؛ فتقول: (ما في الدَّار أحدٌ)، ولا يُقال: (بل اثنان)، ويجوز أن يُقال: (ما في الدَّار واحدٌ؛ بل اثنان).

وفرَّق فقهاء الحنفيَّة بينهما وقالوا: (الأحديَّة) لا تحتمل الجزئيَّة والعدديَّة بحالٍ، و(الواحد) يحتملها؛ لأنَّه يُقال: (مائة واحدٍ وألف واحدةٍ)، ولا يُقال: (مائة أحدٍ ولا ألف أحدٍ).

وبُنِي على ذلك مسألة محمَّد بن الحسن الَّتي ذكرها في «الجامع الكبير»: إذا كان لرجلٍ أربع نسوةٍ فقال: (والله لا أقرب واحدةً منكنَّ) صار مُولِيًا منهنَّ جميعًا، ولم يجز له أن يقرب واحدةً منهنَّ إلَّا بكفَّارةٍ، ولو قال: (والله لا أقرب إحداكنَّ) لم يَصر مولِيًا إلَّا من إحداهنَّ، والبيان إليه.

وقال العسكريُّ: «أصل (أحدٍ): أوحد، مثل: أكبر، وإحدى، مثل: كبرى، فلمَّا وقعا اسمين وكانا كثيرَي الاستعمال هربوا إلى الكسرة ليَخِفَّ، وحذفوا الواو ليُفرِّقوا بين الاسم والصِّفة، وذلك أنَّ (أوحد) اسمٌ، و(أكبر) مثله».

و(الواحد) فاعلٌ من وَحَد يَحِد وهو واحدٌ؛ مثل: وعد يَعِد فهو واعدٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في هذه الجملة كلام أهل العلم في التَّفريق بين (الأحد) و(الواحد)؛ فذكر أنَّ **لهم في هذه المسألة مذهبين اثنين**:

➢ **أحدهما**: عدم القول بالتَّفريق؛ وذهب إلى ذلك جماعةٌ؛ منهم ابن عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأبو عبيدةَ القاسم بن سلَّامٍ.

➢ **والقول الثَّاني**: القول بالتَّفريق بينهما؛ وهو قول أكثر أهل العلم.

وقد ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ممَّا نقله عن أهل العلم **أربعة فروقٍ تكون بين هذين الاسمين**:

■ **أوَّلها**: أنَّ (الواحد) هو المنفرد بالذَّات، و(الأحد) هو المنفرد بالصِّفات.

■ **والثَّاني**: أنَّ (الأحد) حين النَّفي نصٌّ في عموم جميع الأفراد، بخلاف (الواحد) فإنَّه لا يكون نصًّا في ذلك؛ فإذا قلتَ: (ما في الدَّار أحدٌ) لزم من قولك عموم النَّفي لجميع الأفراد، بخلاف قولك: (ما في الدَّار واحدٌ)؛ فيحتمل أن يكون في الدَّار اثنان أو ثلاثةٌ.

■ **والثَّالث**: ما ذكره بعض فقهاء الحنفيَّة من أنَّ (الأحديَّة) لا تحتمل الجزئيَّة والعدديَّة بحالٍ، أمَّا (الواحد) فإنَّه يحتملها؛ فيُقال: (مائة واحدٍ، وألف واحدٍ، وألف واحدةٍ) على وجه الجزئيَّة والتَّعداد، ولا يُقال: (مائة أحدٍ، ولا ألف أحدٍ)؛ فـ(الأحديَّة) لا تقبل التَّجزئة والتَّعداد.

■ **والفرق الرَّابع**: ما ذكره أبو هلالٍ العسكريُّ في «الفروق اللُّغويَّة»: أنَّ (الأحد) دالٌّ على الاسم، و(الواحد) دالٌّ على الصِّفة.

والمراد بـــ (الاسـم) و(الصِّـفة) هنا: ما تعرفه النُّحاة وأهل اللُّغة في لسـانها مِن كون (الاسـم) ما دلَّ على ذاتٍ أو معنًى، وأنَّ (الصِّـفة) هي التَّابع المقصـود بالاشـتقاق، ولا يُراد بهما ما اصـطلح عليه علماء الاعتقاد ممَّا يُنسَـب إلى الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويضـاف إليه، وإنَّما هذا فرقٌ لغويٌّ.

وقد ذكر أبو حاتمٍ الرَّازي في «كتاب الزِّينة» سـبعة فروقٍ بين هذين الاسـمين، ونقل كلامه وبيَّنه السُّيوطيُّ في كتاب «الإتقان».

وأفرد الرَّاغب الأصفهانيُّ هذه المسألة برسالةٍ مفردةٍ مطبوعةٍ.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

سؤالٌ: قوله: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ولم يقل: (الأحد) كما قال: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾؟

جوابه: أنَّ (الصَّمد) يُسمَّى به غير الله - كما يأتي ذكره -؛ فأُتِي فيه بالألف واللَّام ليدلَّ على أنَّه سُبْحَانَهُ هو المستحقُّ لكمال الصَّمديَّة، فإنَّ الألف واللَّام تأتي لاستغراق الجنس تارةً، ولاستغراق خصائصَ أخرى؛ كقوله: (زيدٌ هو الرَّجل) أي الكامل في صفات الرُّجولة، فكذلك قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ أي الكامل في صفات الصَّمديَّة.

وأمَّا (الأحد) فلم يَتسمَّ به غير الله؛ فلم يُحتَج فيه إلى الألف واللَّام.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ هاهنا مسألةً تتعلَّق بتفسير هذه السُّورة، صاغها على صورة السُّؤال.

واستنباط معاني القرآن بطريقة السُّؤال طريقةٌ شائعةٌ جدًّا، وقد أفرد جماعةٌ من أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ رسائلَ في سؤالات القرآن؛ ككتاب الكَرمانيِّ، وكتاب زكريَّا الأنصاريِّ، وكتاب ابن جماعةَ، وكتاب محمَّد بن عمرَ الرَّازيِّ.

وهو علمٌ نافعٌ؛ إذ به تُفهَم آثار التَّصرُّف في القرآن الكريم تقديمًا وتأخيرًا، وإجمالًا وتفصيلًا.

ومن ذلك: هذا السُّؤال الَّذي ذكره المصنِّف: كيف يُقال: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ثمَّ يُقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾؟ ففي الجملة الأولى وُصِف الله عَزَّوَجَلَّ بكلمة (أحد) منكَّرةً، وفي

الجملة الثَّانية وُصِف الله عَزَّوَجَلَّ بكلمة (الصَّمد) معرَّفةً!

فبيَّن المصنِّف أنَّ الفرق بينهما:

- أنَّ اسم (الأحد) لم يشارِك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيه أحدٌ؛ فلم يُحتَج إلى تعريفه.
- وأمَّا اسم (الصَّمد) فإنَّ غيره من المخلوقين يُوصَفون به، إلَّا أنَّ الصَّمديَّة في حقِّهم ليست كالصَّمديَّة في حقِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فالصَّمديَّة في حقِّه عامَّةٌ لجميع أفرادها ولذلك جيء بالألف واللَّام الدَّالَّة على الاستغراق في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ أعاد الاسم المبتدأ؛ تأكيدًا للجملة، وخبره: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾، وقيل: هو نعتٌ، والخبر ما بعده.

و(الصَّمد) اختلفت عبارات السَّلف في معناه، وهي متقاربةٌ أو متَّفقةٌ، والمشهور منها قولان:

أحدهما: أنَّ (الصَّمد) هو السَّيِّد الَّذي تصمُد إليه الخلق في حوائجهم ومطالبهم؛ وهو مرويٌّ عن ابن عبَّاسٍ وغيره من السَّلف.

قال ابن الأنباريِّ: «لا خلاف بين أهل اللُّغة أنَّ (الصَّمد): السَّيِّد الَّذي ليس فوقه أحدٌ؛ الَّذي يصمد إليه النَّاس في حوائجهم وأمورهم».

وقال الزَّجَّاج: «هو الَّذي ينتهي إليه السُّؤدد؛ فقد صمد له كلُّ شيءٍ؛ أي قصده، وأنشدوا:

لَقَدْ بَكَّرَ النَّاعِي بِخَيْرَيْ بَنِي أَسَدْ ... بِعَمْرو بْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدْ

وأنشدوا أيضًا:

عَلَوْتُهُ بِحُسَامٍ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ ... خُذْهَا حُذَيْفَ[1] فَأَنْتَ السَّيِّدُ الصَّمَدُ»

وفي «تفسير ابن أبي حاتمٍ» بإسناده عن عكرمةَ، عن ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «الصَّمد: الَّذي تصمُد إليه الأشياء إذا نزل بهم كربةٌ أو بلاءٌ».

---

(١) ترخيم (حذيفةَ)؛ قال ابن مالكٍ:

تَرْخِيمًا احْذِفْ آخِرَ الْمُنَادَى ... كَـ (يَا سُعَا) فِيمَنْ دَعَا سُعَادَا

فحذف آخره هنا على وجه التَّرخيم.

وعن إبراهيمَ [1] قال: «الَّذي يصمُد إليه العباد في حوائجهم».

وعن عليِّ بن أبي طلحةَ، عن ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «الصَّمد: السَّيِّد الَّذي قد كمُل في سؤدده، والشَّريف الَّذي قد كمُل في شرفه، والعظيم الَّذي قد كمُل في عظمته، والحليم الَّذي قد كمُل في حِلمه، والعليم الَّذي قد كمُل في علمه، والحكيم الَّذي قد كمُل في حكمته، وهو الَّذي قد كمُل في أنواع الشَّرف والسُّؤدد، وهو الله سُبْحَانَهُ هذه صفته لا تنبغي لأحدٍ إلَّا له، ليس له كُفءٌ وليس كمثله شيءٌ، سبحان الله الواحد القهَّار».

والقول الثَّاني: أنَّ الصَّمد: الَّذي لا جوفَ له، وأنَّه الَّذي لا يأكل ولا يشرب، والَّذي لا حشو له، وأنَّه الَّذي لا يدخل فيه شيءٌ، ولا يخرج منه شيءٌ، ونحو هذه العبارات المتقاربة في المعنى، ورُوي ذلك عن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد سبق في حديث أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المذكور في أوَّل تفسير السُّورة: «والصَّمد: الَّذي ليس بأجوفَ».

وروى ابن جريرٍ وابن أبي حاتمٍ من طريق عُبيد الله بن سعيدٍ - قائد الأعمش -، قال: حدَّثني صالح بن حِبَّانَ، عن عبد الله بن بُريدةَ، عن أبيه - قال: لا أعلم إلَّا أنَّه قد رفعه -، قال: «الصَّمد: الَّذي لا جوفَ له».

وعن أبي عبد الرَّحمن السُّلميِّ، عن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «الصَّمد: ليس له حشاءٌ».

ورُوِي عن ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أيضًا وعكرمةَ: «الصَّمد: الَّذي لا يُطعَم».

---

(١) إذا أُطلِق (إبراهيمُ) فالمراد به: النَّخعيُّ، وإذا أُطلِق (سفيانُ) فالمراد به: الثَّوريُّ، وأمَّا إذا كان غيرهما فلا بدَّ من التَّقييد.

وعنه: «الصَّمد: الَّذي لم يَخرج منه شيءٌ».

وعن الشَّعبيِّ: «الصَّمد: الَّذي لا يأكل ولا يشرب».

وعن مجاهدٍ: «هو المُصمَت الَّذي لا جوفَ له».

وقال طائفةٌ: «الصَّمد: الَّذي لم يلد ولم يُولَد» كأنَّهم جعلوا ما بعده تفسيرًا له؛ وهو ممَّا تقدَّم أنَّه الَّذي لم ينفصل منه شيءٌ.

ورُوِي ذلك عن أُبَيِّ بن كعبٍ، والرَّبيع بن أنسٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في هذه الجملة المتقدِّمة اختلاف أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في تعريف (الصَّمد) على أقوالٍ كثيرةٍ، ترجع إلى الأصلين اللَّذين ذكرهما المصنِّف.

وكلُّ هذه الأقوال صحيحةٌ؛ صرَّح بذلك الطَّبرانيُّ في كتاب «السُّنَّة» فيما نقله عنه ابن كثيرٍ في «تفسيره»، وصرَّح به أيضًا البيهقيُّ في كتاب «الأسماء والصِّفات».

ومجموع كلامهم دالٌّ على أنَّ **صمديَّة الرَّبِّ** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **تجيء على نوعين اثنين:**

- **أوَّلهما:** صمديَّته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بنفسه؛ فهو السَّيِّد الكامل الَّذي بلغ أقصى الرِّئاسة والسُّؤدد.

- **والثَّاني:** صمديَّته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على غيره؛ فهو الَّذي تصمد إليه الخلائق؛ فتطلب منه الحوائج.

والقول في صـــمديَّة الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يشـــبِه القول في قيُّوميَّته سُبْحَانَهُ؛ فإنَّ **قيوميَّته** عَزَّوَجَلَّ - كما سلف - **نوعان اثنان**:

- **أحدهما**: قيامه بنفسه.
- **والآخر**: قيامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على تدبير غيره.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وتوجيه ذلك أنَّ الولادة والتَّوليد إنَّما يكون من أصلين، وما كان عينًا قائمًا بنفسه من المتولِّدات فلا بدَّ له من مادَّةٍ يَخرج منها، وما كان عرَضًا قائمًا بغيره فلا بدَّ له من محلٍّ يقوم به.

فالأوَّل نفاه بقوله: ﴿أَحَدٌ﴾؛ فإنَّ (الأحد) هو الَّذي لا كُفء له ولا نظيرَ؛ فيمتنع أن يكون له صاحبةٌ.

والتَّولُّد إنَّما يكون بين شيئين، وكونه تَعَالَىٰ أحدًا ليس أحدٌ كفوًا له يستلزم أنَّه لم يلد ولم يُولد؛ لأنَّ الوالد والولد متماثلان متكافئان، وهو تَعَالَىٰ أحدٌ لا كُفء له.

وأيضًا فالتَّولُّد يحتاج إلى زوجةٍ، وهي مكافئةٌ لزوجها من وجهٍ، وذلك أيضًا ممتنعٌ؛ ولهذا قال تَعَالَىٰ: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام:١٠١]، وقد فسَّر مجاهدٌ (الكُفء) هاهنا بالصَّاحبة.

وأمَّا الثَّاني - وهو انفصال المادَّة - فنفاه سُبْحَانَهُ بأنَّه الصَّمد، وهو المتولِّد من أصلين، ربَّما يتكوَّن من جزئين ينفصلان من الأصلين، كتولُّد الحيوان من أبيه وأمِّه بالمنيِّ الَّذي ينفصل منهما، وكالنَّار المتولِّدة من بين الزَّندين سواءٌ كانا خشبين أو حجرين أو حجرًا وحديدًا.

وهو سُبْحَانَهُ صمدٌ؛ لا يخرج منه شيءٌ منفصلٌ عنه.

والحيوان نوعان:

متوالدٌ: وهو ما ولدُه من جنسه؛ وهو الإنسان، وما يُخلَق من أبوين من البهائم والطَّير وغيرهما.

ومتولِّد: وهو ما يُخلَق من غير جنسه؛ كدود الفاكهة والخلِّ، وكالقمل المتولِّد من الوسخ، والفأر، والبراغيث، وغير ذلك ممَّا يُخلَق من التُّراب والماء، وإنَّما يتولَّد من أصلين أيضًا كما خُلِق آدم من ترابٍ وماءٍ.

وإلَّا فالتُّراب المحض الَّذي لم يختلط به ماءٌ لا يُخلَق منه شيءٌ؛ لا حيوانٌ ولا نباتٌ، والنَّبات جميعه إنَّما يتولَّد من أصلين أيضًا.

والمسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خُلِق من مريمَ ونفخة جبريلَ، وهي حملت به كما تحمل النِّساء وولدته؛ فلهذا يُقال له: ابن مريمَ، بخلاف حواءَ؛ فإنَّها خُلِقت من ضلع آدمَ؛ فلا يُقال أنَّه أبوها، ولا هي ولده، وكذلك سائر المتولِّدات من غيرهما.

كما أنَّ آدمَ لا يُقال: إنَّه ولد التُّراب ولا الطِّين.

والمتولِّد من جنسه أكمل من المتولِّد من غير جنسه؛ ولهذا كان خَلق آدمَ أعجب من خَلق أولاده.

فإذا نُزِّه الرَّبُّ عن المادَّة العَلَقِ - وهي التَّولُّد من النَّظير -، فتنزُّهه [1] عن تولُّده من غير نظيرٍ أولى، كما أنَّ تنزيهه عن الكُفء تنزيهٌ له عن أن يكون غيره أفضل منه بطريق الأَولى.

فتبيَّن أنَّ ما يُقال أنَّه متولِّدٌ من غيره من الأعيان القائمة بنفسها، لا يكون إلَّا من مادَّةٍ تخرج من ذلك الوالد، ولا تكون إلَّا من أصلين، والرَّبُّ تَعَالَىٰ صمدٌ؛ فيمتنع أن يخرج منه شيءٌ وهو سُبْحَانَهُ لم يكن له صاحبةٌ فيمتنع أن يكون له ولدٌ.

وأمَّا تولُّد الأعراض؛ كتولُّد الشُّعاع، وتولُّد العلم عن الفكرة، والشِّبع عن الأكل،

---

(١) في المطبوع: (فتنزَّه به)، والمُثبَت من تصحيح الشَّيخ.

والحرارة عن الحركة، ونحو ذلك = فهذا ليس من تولُّد الأعيان، مع أنَّ هذا لا بدَّ له من محلٍّ، ولا بدَّ له من أصلين كالشُّعاع؛ فإنَّه يحتاج إلى محاذاة جسمٍ نوريٍّ لجسمٍ آخر يقابله فينعكس عليه شعاعه.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ فيما سلف من الكلام ما يشتمل على نفي الولادة والتَّوليد عن الله عَزَّوَجَلَّ وأطال في بيانه.

وإنَّما جرَّه إلى ذلك توجيه كلام من فسَّر (الصَّمد) بأنَّه الَّذي لم يلد ولم يُولَد؛ كما رُوِي ذلك عن أُبيِّ بن كعبٍ، والرَّبيع بن أنسٍ؛ فبيَّن وجه الصَّمديَّة حال انتفاع الولادة والتَّوليد عن ربِّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فإنَّه قائمٌ بنفسه لا ينفصل عن غيره، ولا ينفصل عنه غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فقد تضمَّنت هذه السُّورة العظيمة نفي نوعين عن الله تَعَالَىٰ:

أحدهما: المماثَلة؛ ودلَّ على نفيها قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ مع دلالة قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ على ذلك؛ لأنَّ أحديَّته تقتضي أنَّه متفرِّدٌ بذاته وصفاته فلا يشاركه في ذلك أحدٌ.

والثَّاني: نفي النَّقائص والعيوب، وقد نُفِي منها التَّولُّد من الطَّرفين.

وتضمَّنت إثبات جميع صفات الكمال بإثبات الأحديَّة؛ فالصَّمديَّة تُثبِت الكمال المنافي للنَّقائص، والأحديَّة تُثبِت الانفراد بذلك؛ فإنَّ الأحديَّة تقتضي انفراده بصفاته وامتيازه عن خَلقه بذاته وصفاته، والصَّمديَّة إثبات جميع صفات الكمال ودوامها وقِدمها.

فإنَّ السَّيِّد الَّذي يُصمَد إليه لا يكون إلَّا متَّصفًا بجميع صفات الكمال التي استحقَّ لأجلها أن يكون صمدًا، وأنَّه لم يزل كذلك ولا يزال؛ فإنَّ صمديَّته من لوازم ذاته الَّتي لا تنفكُّ عنه بحالٍ.

ومِن هنا فُسِّر الصَّمد بـ(السَّيِّد) الَّذي قد انتهى سؤدده.

وفسَّره عكرمةُ بـ«الَّذي ليس فوقه أحدٌ».

ورُوِي عن عليٍّ وعن كعبٍ أنَّه «الَّذي لا يكافِئه أحدٌ في خلقه».

وعن أبي هريرةَ قال: «هو المستغني عن كلِّ أحدٍ، المحتاج إليه كلُّ أحدٍ».

وعن سعيد بن جبيرٍ قال: «هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله».

وعن الرَّبيع قال: «هو الَّذي لا تعتريه الآفات».

وعن مقاتل بن حيَّانَ قال: «هو الَّذي لا عيبَ فيه».

وعن ابن كيسانَ: «هو الَّذي لا يُوصَف بصفته أحدٌ».

وعن قتادةَ: «الصَّمد: الباقي بعد خلقه».

وعن مجاهدٍ ومَعمَر: «هو الدَّائم».

وعن مُرَّةَ الهَمْدانيِّ[1]: «هو الَّذي لا يبلى ولا يفنى».

وعنه أيضًا: «هو الَّذي يحكم ما يريد، ويفعل ما يشاء، لا مُعقِّب لحكمه ولا رادَّ لقضائه».

فقد تضمَّنت هذه السُّورة العظيمة إثبات صفات الكمال، ونفي النَّقائص والعيوب من خصائص المخلوقين من التَّولُّد والمماثَلة.

وإذا كان منزَّهًا عن أن يخرج منه مادَّة الولد - الَّتي هي أشرف الموادِّ -؛ فلَأن يُنزَّه عن خروج مادَّة غير الولد أَولى.

وكذلك تنزيهه نفسَه عن أن يُولَد فلا يكون من مثله؛ تنزيهٌ له عن أن يكون من سائر الموادِّ بطريق الأَولى.

فمَن أثبت لله ولدًا فقد شتمه.

---

(١) إذا كانت (الدَّال) مهملةً يكون الضَّبط (هَمْداني) بإسكان الميم، نسبةً إلى (هَمْدان) قبيلةٍ باليمن، وإذا كانت معجمةً (ذالًا) فإنَّ الميم تكون محرَّكةً؛ فيُقال: (الهَمَذاني).

والأصل في العصور الأولى من الصَّحابة والتَّابعين وتابعيهم من رواة الحديث أنَّهم بإهمال الدَّال: الهَمْداني، والأصل في المتأخِّرين أنَّهم بالإعجام: الهَمَذاني؛ ومنهم صاحب «المقامات بديع الزَّمان الهَمَذاني».

وقد ثبت في «صحيح البخاريِّ» عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: كَذَبَنِي ابنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ؛ فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي! وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا! وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ؛ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ**».

وفي «صحيح البخاريِّ» أيضًا عن ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: كَذَبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ؛ فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ: فَزَعَمَ أَنِّي لَا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لِي وَلَدٌ! فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا**».

وقد ردَّ الله على مَن زعم أنَّه لا يعيد الخلق، وعلى من زعم أنَّ له ولدًا - كما تضمَّنه هذا الحديث - في قوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾﴾ إلى قوله: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾﴾ [مريم].

وفي «صحيح البخاريِّ» أيضًا عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا وَهُوَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ**».

فهذه السُّورة الكريمة تضمَّنت نفي ما هو من خصائص آلهة المشركين عن ربِّ العالمين؛ حيث جاء في سبب النُّزول أنَّهم سألوا النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ربِّه: مِن أيِّ شيءٍ هو؟ أمِن كذا أم من كذا؟ أو ممَّن ورث الدُّنيا؟ ولِمن يورثها؟ حيث كانوا قد اعتادوا آلهةً يَلدون ويُولَدون، ويَرثون ويُورَثون، وآلهةً من موادٍّ مصنوعةٍ منها؛ فأنزل الله هذه السُّورة.

وفي «المسند» من حديث أُبيّ بن كعبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد ذكر نزولها: «لأنَّه ليس أحدٌ يُولَد لا يموت، ولا أحدٌ يرث إلَّا يُورث»، يقول: «كلُّ مَن عُبِد من دون الله وقد وُلِد - مثل المسيح والعُزَير وغيرهما من الصَّالحين، ومثل الفراعنة المدَّعين الإلهيَّة - فهذا مولودٌ يموت، وهو وإن كان قد ورث من غيره ما هو فيه فإذا مات ورثه غيرُه، والله سُبْحَانَهُ حيٌّ لا يموت ولا يُورَث سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ»، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في هذه الجملة أنَّ هذه السُّورة قد جمعت بين النَّفي والإثبات في صفة الله عَزَّوَجَلَّ؛ كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيميَّةَ في صدر «الواسطيَّة» إذ قال: «وقد جمع الله فيما وصف وسمَّى به نفسه بين النَّفي والإثبات»، وذكر آيًا عدَّةً؛ منها سورة الإخلاص كاملةً؛ **فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قد جمع فيها بين الإثبات والنَّفي:**

فأمَّا الإثبات: فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أثبت لنفسه في هذه السُّورة أنواعًا من الكمالات في أسمائه وصفاته.

وأمَّا النَّفي: فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ نفى في هذه السُّورة أصلين اثنين:

- **أحدهما:** النَّقائص والعيوب؛ وهي في قوله تَعَالَىٰ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾.
- **والآخر:** المماثَلة؛ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

سؤالٌ: نفى سُبْحَانَهُ الولادةَ قبل نفي التَّولُّد، والتَّولُّد أسبق وقوعًا من الولادة في حقِّ مَن هو متولِّدٌ!

وجوابه: أنَّ الولادة لم يدَّعها أحدٌ في حقِّه سُبْحَانَهُ؛ وإنَّما ادَّعوا أنَّه وَلَدَ؛ فلذلك قدَّم نفيه؛ لأنَّه المهمُّ المحتاج إلى نفيه.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

يعني قدَّم نفي الولد؛ لأنَّهم ادَّعوه في حقِّ الله عَزَّوَجَلَّ، فقد قال مشركو العرب: الملائكة بنات الله، وقالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النَّصارى: المسيح ابن الله.

وأمَّا نفي كونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له والدٌ فهذا أُخِّر لعدم الدَّعوى في ذلك.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

سؤالٌ آخرُ: كيف نفى أن يكون مولودًا ولم يعتقده أحدٌ؟

جوابه من وجهين:

أحدهما: أنَّهم سألوا عمَّن وَرث الدُّنيا؟ ولِمن يُورِّثها؟ وهذا يُشعِر بأنَّ منهم من اعتقد ذلك.

والثَّاني: أنَّه نفى عن نفسه سُبْحَانَهُ خصائص آلهة المشركين؛ فإنَّ منهم مَن عبد المسيح ومنهم مَن عبد العُزير وهما مولودان، ومنهم مَن عبد الملائكة والعجل وهي متولِّداتٌ، وقد تقدَّم أنَّ نفي الولادة تدلُّ على نفي المتولِّد بطريق الأَولى.

فائدةٌ: قال ابن عطيَّةَ: ﴿كُفُوًا﴾ خبر (كان)، واسمها ﴿أَحَدٌ﴾، والظَّرف ملغى.

وسيبويه يستحسِن أن يكون الظَّرف إذا تقدَّم خبرًا، ولكن قد يجيء ملغى في أماكنَ يقتضيها المعنى؛ كهذه الآية، وكقول الشَّاعر - أنشده سيبويه -:

..... مَا دَامَ فِيهِنَّ فَصِيلٌ حَيًّا

ويحتمل أن يكون ﴿كُفُوًا﴾ حالًا لِما قدَّم من كونه وصفًا للنَّكرة؛ كما قال كُثيِّر لعَزَّةَ:

لِمَيَّةَ مُوحِشًا طَلَلُ ....

قال سيبويه: «وهذا نقلٌ في الكلام، وبابه الشِّعر».

فهذه السُّورة تتضمَّن انفراده ووحدانيَّته، وأنَّه منقطع النَّظير، وأنَّه إنَّما نُزِّه عن أن يكون من أجناس المخلوقات؛ لأنَّ أفراد كلِّ جنسٍ من هذه الأجناس متكافئةٌ متماثلةٌ؛ فالذَّهب يكافئ الذَّهب، والإنسان يكافئ الإنسان ويزاوِجه؛ ولهذا قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمِن

﴿كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذَّاريات:٤٩]؛ فما من مخلوقٍ إلَّا وله كفءٌ، هو زوجه ونظيره وعِدله ومثيله؛ فلو كان الحقُّ من جنس شيءٍ من هذه الأجناس لَكان له كفءٌ وعِدلٌ، وقد عُلِم انتفاؤه بالشَّرع والعقل.

فهذه السُّورة هي نَسب الرَّحمن وصفته، وهي الَّتي أنزلها الله في نفي ما أضاف إليه المبطلون من تمثيلٍ وتجسيمٍ، وإثبات أصلٍ وفرعٍ.

فدخل فيها ما يقوله مَن يقول من المشركين والصَّابئة وأهل الكتاب، ومَن دخل فيهم من منافقي هذه الأمَّة مِن تولُّد الملائكة، أو العقول، أو النُّفوس، أو بعض الأنبياء، أو غير الأنبياء.

ودخل فيها ما يقوله مَن يقول من المشركين وأهل الكتاب مِن تولُّده عن غيره؛ كالَّذين قالوا في المسيح أنَّه الله، والَّذين يقولون في الدَّجَّال أنَّه الله، والَّذين يقولون ذلك في عليٍّ وغيره.

ودخل فيها ما يقوله مَن يقول من المشركين وأهل الكتاب مِن إثبات كفءٍ له في شيءٍ من الأشياء؛ مثل مَن يجعل له بتشبيهه أو بتجسيمه كفوًا له، أو يجعل له بعبادة غيره كفوًا، أو يجعل له بإضافة بعض خَلقه إلى غيره كفوًا؛ فلا كفء له في شيءٍ من صفاته، ولا في ربوبيَّته، ولا في إلهيَّته.

فتضمَّنت هذه السُّورة تنزيهه وتقديسه عن الأصول والفروع، والنُّظراء والأمثال.

وليس في المخلوقات شيءٌ إلَّا ولا بدَّ أن يُنسَب إلى بعض هذه الأعيان والمعاني؛ فالحيوان - من الآدميِّ وغيرِه - لا بدَّ أن يكون له إمَّا والدٌ وإمَّا مولودٌ، وإمَّا نظيرٌ هو كفؤُه، وكذلك الجنُّ والملائكة؛ كما قال تَعَالَى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

﴿٤٩﴾﴾[الذَّاريات]؛ قال بعض السَّلف: «لعلَّكم تذكَّرون فتعلمون أنَّ خالق الأزواج واحدٌ».

قال تَعَالَىٰ: ﴿﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾﴾[الفجر]؛ قال مجاهدٌ: «كلُّ شيءٍ خلقه الله فهو شفعٌ؛ قال تَعَالَىٰ: ﴿﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾[الذَّاريات]: الكفر والإيمان، والهدى والضَّلالة، والشَّقاوة والسَّعادة، واللَّيل والنَّهار، والسَّماء والأرض، والبَرُّ والبحر، والشَّمس والقمر، والجنُّ والإنس، والوتر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ».

وهو الَّذي ذكره البخاريُّ في «صحيحه»؛ فإنَّه يعتمد قول مجاهدٍ لأنَّه أصحُّ التَّفسير؛ قال الثَّوريُّ: «إذا جاءك التَّفسير عن مجاهدٍ فحسبُك به»، واختاره الشَّيخ مجد الدِّين ابن تيميَّةَ.

وحقيقة (الكُفء) هو المساوي والمقاوِم، فلا كفء له تَعَالَىٰ في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أسمائه، ولا في أفعاله، ولا في ربوبيَّته، ولا في إلهيَّته.

ولهذا كان الإيمان بالقدر نظام التَّوحيد؛ كما قال ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ لأنَّ القدريَّة جعلوا له كفوًا في الخَلق.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

أراد المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بما سبق مِن البيان إثبات أنَّ هذه السُّورة تضمَّنت أكمل النَّفي فيما لا يصحُّ نسبته إلى الله عَزَّوَجَلَّ (من الأصول والفروع، والنُّظراء والأمثال)؛ فالله عَزَّوَجَلَّ لم يلد ولم يُولَد، ولم يكن له نظيرٌ ولا مثيلٌ ولا ندٌّ.

ولذلك فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يُسمَّى بـ (الواحد والأحد)، ولا يُسمَّى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

بـــ (الوحيد) كما ذكر ذلك الخطَّابيُّ في «شـأن الدُّعاء»؛ لأنَّ (الوحيد) هو المنفرد عن أصحابه؛ ففيه إثبات أصحابٍ نظراءَ له؛ بخلاف اسم (الواحد) و(الأحد)؛ فإنَّه يلزم منها تفرُّد الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما له من الكمال.

وبهذا يُعلَم أنَّ التَّسمية بـــ (عبد الوحيد) لا تجوز؛ لأنَّ (الوحيد) ليس من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ الَّتي ثبتت له، كما أنَّ الدِّراية لا تسـاعد على إثباته اسـمًا؛ فإنَّه لا يتضـمَّن كمالًا ينفرد به الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن غيره؛ بل فيه إثبات نظراءَ لله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنَّ معنى (الوحيد): المنفرد عن أصحابه.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وأمَّا توحيد الإلهيَّة، فالشِّــرك فيه تارةً يوجِب الكفر والخروج من الملَّة والخلود في النَّار، ومنه ما هو أصغر؛ كالحلف بغير الله، والنَّذر له، وخشية غير الله، ورجائه، والتَّوكُّل عليه، والذُّلِّ له، وقول القائل: ما شــاء الله وشــئتَ، ومنه ابتغاء الرِّزق من عند غير الله، وحمد غيره على ما أعطى، والغُنية بذلك عن حمده، ومنه العمل لغير الله، وهو الرِّياء؛ وهو أقسامٌ.

ولهذا حرَّم التَّشبُّه بأفعاله بالتَّصوير.

وحرَّم التَّســمِّي بأســمائه المختصَّــة به كـــ(الله، والرَّحمن، والرَّبِّ)؛ وإنَّما يجوز التَّسـمية به مضـافًا إلى غير من يعقل، وكذلك (الجبَّار، والمتكبِّر، والقهَّار) ونحو ذلك؛ كـ(الخلَّاق، والرَّزَّاق، والدَّائم).

ومنه (ملك الملوك)، وقد جعل ابن عقيلٍ التَّسمية بهذا مكروهةً.

قال ابن عقيلٍ: «كلُّ ما انفرد به الله كـــ(الله، ورحمن، وخالق) لا يجوز التَّسمِّي به، وكلُّ ما وُجِد معناه في الآدميِّ فإن كان يُوجِد تكبُّرًا كـــ(الملِك العظيم والأعظم، وملك الملوك، والجبَّار) فمكروهٌ»، والصَّواب الجزم بتحريمه.

فأمَّا ما يتسمَّى به المخلوقون من أسمائه كـــ(السَّميع، والبصير، والقدير، والعليم، والرَّحيم)؛ فإنَّ الإضافة قاطعةٌ الشِّركة، وكذلك الوصفيَّة؛ فقولنا: (زيدٌ سميعٌ بصيرٌ) لا يفيد إلَّا صـفة المخلوق، وقولنا: (الله سـميعٌ بصـيرٌ) يفيد صـفته اللَّائقة به، فانقطعت المشابَهة بوجهٍ من الوجوه.

قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

أراد المصـــنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في هذه الجملة أنَّ الكُفء المنفيَّ عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يشمل جميع أنواع التَّوحيد؛ فليس لله عَزَّوَجَلَّ كفءٌ في ربوبيَّته، وليس له كفءٌ في ألوهيَّته، وليس له كفءٌ في أسمائه وصفاته.

فمن جعل لله عَزَّوَجَلَّ كفؤًا ونظيرًا في شيءٍ منها فقد وقع في الشِّرك؛ كما ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بعض الصُّور الموقِعة في الشِّرك ممَّا يتعلَّق بالرُّبوبيَّة، أو الإلهيَّة، أو الأسماء والصِّفات.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

ولهذا قال تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]، وفيه قولان:

أحدهما: نفي التَّسمية.

والثَّاني: نفي المساواة.

وقد نفى سُبْحَانَهُ عن نفسه المثليَّةَ بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشُّورى:١١].

ونفى عنه العِدل والتَّسوية بقوله: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام]، وقوله: ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ۝٩٦ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩٨﴾ [الشُّعراء].

ونفى عنه النِّدَّ بقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة]، وقوله: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ [فُصِّلت:٩].

وفي الحديث: أيُّ الذَّنب أعظمُ؟ قال: «**أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**»، وقال للَّذي قال له: ما شاء الله وشئتَ: «**أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا؟**»، وفي روايةٍ: «**أَجَعَلْتَنِي للهِ عِدْلًا**».

وقال كعبٌ: «السَّماوات السَّبع والأرضون السَّبع أُسِّست على هذه السُّورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾».

ومعنى هذا وَاللَّهُ أَعْلَمُ: أنَّ السَّماوات والأرض إنَّما خُلِقت بالحقِّ والعدل والتَّوحيد؛ كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝٣٨ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۝٣٩﴾ [الدُّخان].

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

بيَّن المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في هذه الجملة تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]؛ فذكر أنَّ **أهل العلم** رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ **اختلفوا في ذلك على قولين:**

- (**أحدهما: نفي التَّسمية**) يعني نفي شِرْكة غيره له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في أسمائه؛ فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منفردٌ بأسمائه، لا يَشركه فيها أحدٌ.

وهذا النَّفي:

○ تارةً يرجع إلى أصل الاسم؛ فلا يُسمَّى به غير الله عَزَّوَجَلَّ؛ كـ(الله، والرَّحمن)؛ فلا يُسمَّى غير الله عَزَّوَجَلَّ بهذين الاسمين.

○ وتارةً يرجع إلى معنى الاسم؛ فإنَّ (السَّميع، والبصير) وإن وقع وصفًا للمخلوق، إلَّا أنَّ معنى هذه الصِّفة لله غير المعنى الَّذي يكون للمخلوق؛ فإنَّ لله سمعًا وبصرًا يليق بجلاله، وإنَّ للمخلوق سمعًا وبصرًا يناسب حاله.

- **والقول الثَّاني**: (نفي المساواة) يعني نفي أن يُوجَد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مساوٍ أو مِثْلٌ أو نظيرٌ أو نِدٌّ.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

ومِن شِعر أُمَيَّةَ بن أبي الصَّلْت:

وَسُبْحَانَ رَبِّي خَالِقِ النُّورِ لَمْ يَلِدْ ... وَلَمْ يَكُ مَوْلُودًا بِذَلِكَ أَشْهَدُ

وَسُبْحَانَهُ مِنْ كُلِّ إِفْكٍ وَبَاطِلٍ ... وَكَيْفَ يَلِدُ ذُو الْعَرْشِ أَمْ كَيْفَ يُولَدُ

هُوَ اللهُ بَارِئ الْخَلْقِ وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ ... إِمَاءٌ لَهُ طَوْعًا جَمِيعًا وَأَعْبُدُ [1]

هُوَ الصَّمَدُ اللهُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ ... مِنَ الْخَلْقِ كُفْءٌ قَدْ يُضَاهِيهِ مُخَلَّدُ

وَأَنَّى يَكُونُ الْخَلْقُ كَالْخَالِقِ الَّذِي ... يَدُومُ وَيَبْقَى وَالْخَلِيقَةُ تَنْفَدُ [2]

وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ عَلَى الدَّهْرِ جِدُّهُ ... وَمَنْ ذَا عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ يَخْلُدُ

وَنَفْنَى وَلَا يَبْقَى سِوَى الْقَاهِرِ الَّذِي ... يُمِيتُ وَيُحْيِي دَائِبًا لَيْسَ يَمْهَدُ

آخِره

والحمد لله ربِّ العالمين

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ختم المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ كتابه هذا بشيءٍ من الشِّعر كما جرت به عادته في كثيرٍ من كتبه، فإنَّ عادةَ أهل الحديث في مجالس الإملاء أن يختِموا إملاءهم بشيءٍ من الشِّعر

---

(١) جمع (عبدٍ).

(٢) يعني تزول؛ فإنَّ (النَّفاد) هو الزَّوال، وأمَّا قولهم: (تنفذ) - بالذَّال - فهذا من لحن العامَّة؛ فليست كلمة (تنفذ) بمعنى زوال الشَّيء وفنائه.

والحكايات، ولمَّا كان المصنِّف منهم جرى على هذا العُرف الَّذي تعارفوه واصطلحوا عليه.

وقد ذكر شيئًا (من شعر أُميَّة بن أبي الصَّلت)، وأُميَّة بن أبي الصَّلت مات مشركًا كافرًا ولم يُسلِم، وكان النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَستنشِد شِعره ويستمع إلى الرُّواة الَّذين ينقلونه؛ تعظيمًا لشأنه؛ لِما فيه من الحكمة والإقرار لله عَزَّوَجَلَّ بالتَّوحيد والعبوديَّة.

وهذا آخر التَّقرير على كتاب «الكلام على سورة الإخلاص» للحافظ ابن رجبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على عبده ورسوله ومحمَّد وآله وصحبه أجمعين [1].

تم بحمد الله

(١) تمَّ التَّعليق على الكتاب في مجلس واحدٍ، بعد العصر يوم الأحد السَّادس من جمادى الأولى، سنة خمسٍ وعشرين بعد الأربعمائة والألف، في جامع الإيمان بحيِّ النَّسيم بمدينة الرِّياض، ومدَّته: ساعةٌ وثمانٍ وعشرون دقيقةً.

فَوَائِد

فَوَائِد

فَوَائِد

فَوَائِد